تمثلات الواقع ومشاكله في الرواية
قراءة في المنجز العراقي بعد عام ٢٠٠٣

أ.م.د. اريج كنعان حمودي
كلية الاداب جامعة بغداد

الملخص

منذ النشأة الاولى للرواية لا سيما الحديثة منها ونحن نجدها الاقرب الى الواقع والبيئة التي تصدر عنها ، لذا لمن يرغب بدراسة التركيبة الاجتماعية والآفات التي تعاني منها المجتمعات كافة فضلا عن مظاهر الحضارة والرقي لتلك المجتمعات من خلال ادب ذلك المجتمع فان الرواية يمكن ان تعد الجنس الاقرب والاكثر التحاما وبحثا في الدقائق وخلفياتها الفكرية والدينية والطبقية ...الخ ، من غيرها من الاجناس الادبية الاخرى . لذا كانت الدراسات السوسيولوجية ميدانا مناسبا للولوج من خلالها الى العالم الروائي واستكشاف تلك الطبقات الاجتماعية بما تضمه من صراعات داخل الطبقة الواحدة او مع سواها فضلا عن النتائج المترتبة على ذلك من سلوكيات ومفاهيم قد يتجذر البعض منها في وعي او لا وعي فئات تلك الطبقة .

ويمكن ان نشير بلا تردد او تحفظ الى ان الرواية العراقية ارتبطت على اختلاف مراحلها واجيالها او جنسانية مؤلفيها ، ارتبطت دائما بالبيئة والواقع الذي صدرت عنه وكأننا دائما مع كل رواية منها امام وثيقة تاريخية واجتماعية ودراسة غير مباشرة للمجتمع العراقي على ألختلاف طبقاته او المراحل الظرفية التي مر بها ، مع محاولة كل منهم اضفاء رؤياه وابداعه وخياله عليها خشية الوقوع بالتقريرية والمباشرة او ان تدرج تلك الروايات ضمن الروايات التاريخية التي تبعدها الى حد ما

عن الجمالية الفنية والابداع والتفرد الذي هو دائما الدافع الاساس ،فضلا عن الثيمة والصراع الذي نجد الرواية قد قامت عليه .

واستنادا الى ما سبق فقد آثرت في بحثي دراسة تلك الصراعات الاجتماعية والطبقية والنتائج التي ترتبت عليها من خلال دراسة عدد من الروايات العراقية الحديثة لاسيما تلك الصادرة بعد عام٢٠٠٣ وما افرزته هذه الحقبة من بروز تلك الصراعات على السطح بشكل كبير وواضح من دون تخوف من السلطة او خشية يد الرقيب التي كان لها الدور الكبير في المراحل السابقة في تشذيب وتحديد تلك المباشرة والجرأة في طرح مثل هكذا موضوعات لها علاقة مباشرة او غير مباشرة بتابوات السلطة سواء اكانت سياسية ام اجتماعية ام دينية .

لذا بدأت الدراسة بالوقوف على ماهية المذهب الواقعي وعلاقة الادب عامة والرواية بشكل خاص بهذا المذهب وصولا الى المنهج الاجتماعي وماهية سوسيولوجيا الادب وعلاقة هذا المنهج بالواقعية واستناد النقاد والدارسين الى فرضيات هذا المنهج في نقد النصوص السردية واستخلاص الملامح الاجتماعية والصراعات الطبقية والدوافع الاجتماعية والبيئية التي تقف وراءها ،وهذه المقدمة يمكن ان تشكل الجزء الاول من البحث ، اما الجزء الثاني منه فقد حدد للوقوف على اهم المشاكل والظواهر الاجتماعية ودوافعها المستخلصة من النصوص الروائية التي اتخذت نماذج عملية للدراسة والبحث هنا ،من دون ان ندعي التغطية الكاملة للنتاج العراقي الصادر في هذه المرحلة انما آثرنا اتخاذ نماذج يمكن من خلالها الوقوف على بعض ما وقف عنده الروائي العراقي

المقدمة

الادب في كل امة هو مرآة عاكسة لتلك الامة ، بكل تفصيلات المظاهر الحياتية والتغيرات السياسية والاجتماعية التي تطرأ عليها ، ناقلا اياها احيانا بشكل مباشر او من خلال انعكاس تلك المظاهر او متغيراتها على الاديب خاصة او على المجتمع واعضائه بشكل عام ، وما قيل سابقا ان الشعر ديوان العرب وهو السجل الحافل بأحداثهم ووقائعهم وتاريخهم ، يصح الان ان نستعير هذا التوصيف لجنس الرواية التي يمكن ان نعدها هي الجنس الاقرب لتلك التفصيلات والمتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية التي تطرأ على الوسط الذي تنبثق منه ، بفعل المساحة التي توفرها الرواية وتتيح من ثم الدخول في مفاصل الحياة والوسط الذي انبثقت منه ، إذ ارتبط الفن السردي منذ نشأته الاولى بذلك الوسط منبعثا منه وناقلا عنه وهو ما دفع ارسطو لان يصف الادب بانه محاكاة للواقع ، لكن لا نستطيع ان نقول انها محاكاة حرفية تنقل الواقع كما هو والا سنكون قد دخلنا في ميدان الوثائقية والتقريرية ، انما هي محاكاة اعتمدت مبدأ الحذف والاختيار وفقا لرؤية المبدع وما يضفيه عليها من لغة فنية وخيال خصب ينسج تلك الصور الواقعية والمواقف والتفاصيل الصغيرة التي يقف عليها او تستوقفه ، ينقلها بصياغة ابداعية لا تبعد هذا الجنس عن الجمالية الفنية التي هي ركن اساس فيه الى جانب البواعث او المحفزات الخارجية الواقعية التي شكلت دوافع النص او ثقافة المرحلة التي نجد انعكاساتها واضحة على الاديب ومن ثم على نتاجه .

لذا كان لزاما فهم الثقافة التي صنعت تلك الاعمال الادبية ومنتجات تلك الثقافة وملامحها بغية فك شفرات النص وايجاد صلات الوصل الرابطة للمنتج الابداعي بالمرحلة التي انتجته او البيئة الاجتماعية والمكانية التي اضفت عليه بشكل مباشر او غير مباشر سمات وثيمات لا نستطيع ان نجرد النص الابداعي منها مهما ارتفعت فنية النص او كان خيال المبدع هو الطاغي فيها .

وقد تعددت الاراء والدراسات التي حاولت الوقوف على ماهية الثقافة المنتجة للنص الادبي التي تشكل البنى العميقة لذلك النص ، واختلفت الاراء وفقا للمرجعيات الفكرية والايدلوجية المنتجة لها ، فهي عند ماركس ترتبط بالحالة المادية للمجتمع ،التي يعني بها " العلاقات الاجتماعية التي تحكم المجال الاقتصادي لمجتمع ما ، وهي تمثل وفقا لرأيه – اعني به ماركس – البناء التحتي الاجتماعي / الاقتصادي للمجتمع الذي يشكل طبيعة " البناء الفوقي "اي البنية الثقافية لذلك المجتمع ."(١) وما بين مؤيد ومعارض ظهرت اراء ودراسات عدة ، ويعد (لوكاش)احد المعارضين للمذهب الماركسي في تحليل الادب وبيان مرجعياته إذ يرى لوكاش " أن القاعدة المادية لا تنتج (البنية الثقافية الفوقية)مباشرة بل هناك سلسلة معقدة من العلاقات في كل جزء من المجتمع ، منظورا اليه ككيان كلي ...وكل عنصر في المجتمع يجب النظر اليه بوصفه جزءا من ذلك المجتمع ككل ، وهو الكيان الكلي الاجتماعي "(٢) لذا فالبنية الثقافية هي سلسلة متداخلة من علاقات عدة سياسية واقتصادية ومرجعيات دينية واعراف اجتماعية مخزونة في اللاوعي الجمعي لكل مجتمع من المجتمعات المنتجة للآدب فضلا عن كل المتغيرات التي تطرا على تلك البنى التحتية ويكون لها انعكاسها من خلخلة للنظم الاجتماعية المترتبة عليها التي تظهر غالبا في النتاج الادبي للأمم التي مرت بها .

واختيارنا للرواية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣ فهو فضلا عما يختزنه الروائي من بنى ثقافية هي حصيلة تراكمات معرفية سابقة ، فألى جانب ذلك فقد شهدت هذه الرواية بعد هذا التاريخ تغييرات عدة اتاحتها الحرية الجديدة الممنوحة بعيدا عن عين الرقيب التي كانت تحد من جموح الروائي ومن دخوله بتفصيلات الحياة والوقوف على ما في هذا المجتمع من ظواهر يمكن ان تعد من تابوات السلطة سواء أكانت السياسية ام الاجتماعية ، فضلا عن المستجدات التي ظهرت بعد هذا التاريخ وكان لها حضور واضح في المنتج الروائي العراقي الى الحد الذي يمكن ان يعد في بعض الاحيان الثيمة المشتركة في معظم النتاج الصادر الذي يجعل الحاضر هو الفضاء الذي يتحرك فيه

المبنى السردي لروايته منطلقا من متن خارجي خلقته ثقافة المرحلة بكل متغيراتها وتسارع احداثها وما افرزته من تغييرات وانعطافات كبيرة في النسيج الاجتماعي العراقي وبروز ظواهر يمكن ان تعد مستجدة ودخيلة عليه حاولت تلك الروايات الوقوف عليها ، والروايات التي اخترناها نماذج منتقاة من ذلك الكم الصادر بعد التاريخ المشار اليه سابقا انما وجدت فيها ذلك الاقتراب غير المتماهي مع الواقع انما كان الواقع المصاغ بطريقة فنية ابداعية لاتخلو من الاشاراة الى الثقافة المنتجة لتلك النصوص بطرق غالبا غير مباشرة تترك للمتلقي فرصة البحث والاستنتاج ليكون جزءا من عملية خلق النص وفهم ابعاده ، مما يجعل المنهج الاجتماعي افضل المناهج ميدانا لدراسة تلك النماذج وبيان سوسيولوجية الظواهر التي تظمنتها تلك الروايات .

استنادا الى ما سبق آثرنا تقسيم البحث على قسمين، يكون الاول بعنوان الواقعية وسوسيولوجيا الادب ،في حين يختص الجزء الثاني منه بتحليل تلك الظواهر المبثوثة وتتبعها في الروايات ميدان الدرس او التي تكون هي الثيمة الاساس التي قام عليها المبنى السردي ، لذا اخترنا (الدراسة التطبيقية)عنوانا لهذا الجزء .

اولا: الواقعية وسوسيولوجيا الادب .

يقول بيلنسكي " ..الفن اساسا ، ليس استعراضا للفكرة ، ولكنه انعكاس للحقيقة الواقعية ، وهو لا يولد خارج الحياة، ولكنه ينبع منها ويخلق اصدق النماذج لظواهرها "(٣) لذا ارتبطت هذه الفنون على اختلاف اجناسها بالواقع الذي تنبع منه سواء كانت تعبر عنه بشكل مباشر ام غير مباشر من خلال بيان انعكاسات ذلك الواقع على المبدع ام على افراد المجتمع الذين يشكلون نماذج الاديب الذي ينتقيها لوضع اليد على تبعات تلك الظواهر ونتائجها التي استوقفته وحفزت لديه الكتابة الابداعية ، والواقعية الادبية " بمعناها العام والواسع ، هي كل ما يمتاز به الادب من تصوير دقيق للطبيعة والانسان ، مع العناية الكبيرة بالتفاصيل المشتركة للحياة اليومية "(٤) ولا يعنينا هنا تتبع تاريخية

هذا المذهب وتطوره عبر المراحل الزمانية والفكرية والايدولوجيات التي تبنت هذا المفهوم وفقا لمنطلقاتها ، إذ كثرت الدراسات فيها واوفتها تتبعا وتفصيلا ، انما ما يعنينا هنا هو بيان خصائص هذا المذهب وكيف افادت منه المناهج الاجتماعية التي كانت ميدانا للدراسات الادبية ، فضلا عن ارتباط الرواية بصورة عامة والعراقية منها بشكل خاص بالمذهب الواقعي منذ نشأتها والى يومنا هذا .

ويمكن ان نجمل خصائص الادب الواقعي كما تواضع عليها الدارسون بانها :

- اعتمد الادب الواقعي على التصوير الواقعي للأشياء ، كما تظهر في الملاحظة او التجربة . بدلا من التصوير الخيالي القائم على الوهم او الحلم او العاطفة
- الادب الواقعي ادب موضوعي ،يصور الاشياء كما هي ، دون تدخل الكاتب فيما يصور ، اعني دون اقحام الكاتب ذاته او معتقداته او عواطفه فيما يصور
- يستمد الادب الواقعي موضوعاته وشخصياته من حياة الطبقتين الوسطى والدنيا ، وليس من الطبقة الارستقراطية . فيصور قضايا جديدة ذات طابع شعبي وامثلة انسانية عادية .لم يكن للأدب عهد بها من قبل .
- لان الادب الواقعي عني بتصوير اثر المجتمع في الانسان . ولما كانت الظروف الاجتماعية السائدة في الوقت الذي ظهرت فيه الواقعية مرة وسلبية ، فقد برز في هذا الادب اليأس والنظرة السوداوية الى الانسان والحياة .(٥)

وهذا الارتباط الشرطي بين الادب والواقع المنتج له وحرص متبني هذا الاتجاه على التصوير الدقيق لحيثيات الواقع ومفاصله المتعددة التي يحاولون من خلالها تجسيد الابعاد الحقيقية والكاشفة بشكل جلي عن بواطن تلك الحياة ومظاهرها السائدة لا يعني ان يغفل الاديب او ان يتجرد النص من السمة الفنية والصياغة الابداعية التي تنطلق من الخارج الواقعي الى الداخل الفني ذي الصياغة المستندة الى ابداع المؤلف وخياله ولغته التصويرية ، إذ ان "الفن لا يمكنه ان يتعامل مع الواقع مهما ضيقنا

معناه ومهما اكدنا قدرة الفنان الخلاقة المتشكلة ، فالواقع كالحقيقة او الطبيعة او الحياة، هو في الفن كما في الفلسفة وقد هدفت كل فنون الماضي الى تصوير الواقع حتى لو تكلمت عن واقع اعلى ..واقع من الماهيات واقع من الاحلام والرموز " (٦)، لذا يرى بلنسكي "إن امانة التصوير المادي والحياتي ، شرط اساسي لنجاح العمل الفني ، على الا يعني ذلك ، التصوير الفوتغرافي ، بل سبر الجوهر والاعماق ، من خلال الاحساس الشامل بالواقع والتعميم الفني ، وهذا لا يتم الا بالتمثيل الابداعي (محاكاة الواقع) بواسطة التحليل والتعميم الفنيين لظواهر الحياة وتشكل النماذج "(٧)، ولا يخفي التفاوت الطبيعي من كاتب الى اخر من حيث القدرة الفنية والامكانية القادرة على اسباغ الطابع الفني والخيال الابداعي في نقل ذلك الواقع وتجسيده على الورق ، لذا وجدنا هذا التفاوت واضحا في بعض النماذج التي طغت عليها الواقعية وكانت اقرب الى النقل المباشر والتوثيقي، وكأننا هنا امام تطابق بين مبنى النص والمتن المنتج له ، من دون تدخل واضح لمبضع المؤلف فيه .

والواقعية مذهبا تعني كما اسلفنا نقل الواقع وتصويره وما الواقع الا التركيبة الاجتماعية المنتجة للنص الادبي ، إذ النص غالبا إما نقل مباشر أو غير مباشر للتركيبة الاجتماعية المنتجة له بكل متغيراتها أو ثوابتها وما تنتجه من احداث أو انعكاسات على افراد ذلك المجتمع او الاديب بشكل خاص ، فضلا عن ان هذا المجتمع "هو الذي بني عقل الاديب وعواطفه وتصوراته في اساسها ، اي انه من هذا المجتمع واليه حتى وان تمرد عليه ورفضه ، حتى وان اصطنع لأدبه ارضا غير الارض وبشرا غير البشر الذين نعرفهم ويعرفهم هو " (٨) لذا شكل المنهج الاجتماعي احد مداخل النقد الادبي التي " تنظر الى الابداع على انه نتاج اجتماعي ان لم يكن نتاجا جماعيا يتجاوز شخص المبدع الى الاطار الاجتماعي العام الذي يمارس ضغوطا وتأثيرات شتى في توجيه الموهبة وانتقاء عناصر البنية القصصية "

(٩) لذا نفيد من الدراسات السوسيولوجية لتحليل النص السردي من خلال البحث عن العلاقات الناشئة بين النص من جهة والمجتمع من جهة اخرى ، إذ شكلت هذه الدراسات للكثير من النقاد المرتكز الاساس في بيان بواطن النص الروائي خاصة والادبي بشكل عام غوصا في البنى التحتية التي تبرز او تتستر خلف سلوكيات ومواقف وظواهر تشكل ثيمات واضحة نستجلي من خلالها تلك التمثلات التي هي ميدان بحثنا هنا

والسوسيولوجيا نعني بها " العلم الذي يدرس المجتمعات والقوانين التي تحكم تطوره وتغيره "(١٠) وانطلاقا من هذا العلم ومفهومه فقد تداخل مع كثير من العلوم وميادين الاشتغال الانساني، ولعل الادب اكثر العلوم افادة منه ظهرت على اثره المناهج الاجتماعية التي تعد احدى اهم المناهج التي يخضع الادب للتدقيق والتحليل من خلالها مستندة الى " بيان الصلة بين الاثر الادبي والمجتمع الذي انتجه . وهو في تفسيره وتقويمه للآثار الادبية يصدر عن هذه الدلالة الاجتماعية "(١١) . لذا عرفت سوسيولوجيا الادب او علم الاجتماع الادبي بانه" هو العلم الذي يعنى بتتبع الآثار الادبية والمناخات الاجتماعية المؤثرة فيها بحيث تجعل منها نتاجا لوعي جماعي ما والاكثر من ذلك انه يؤثر في هذه الجماعة فيجعلها على نقيض جماعة اخرى "(١٢) ويستند الناقد في تبني هذا المنهج وفقا لمضمون النص وتوجهاته وما يعالجه من قضايا ذات ارتباط بالمجتمع وتغيراته التاريخية او الايديولوجية وما تفرزه من ظواهر تشكل سمات تلك المرحلة فضاء النص "فكما هو معروف هناك دائما علاقة وتأثير عميقين ومتلازمين بين العمل الادبي _باعتباره جزءا من البناء الفوقي ، وبين التغيرات الاجتماعية التي تحدث في القاعدة المادية للمجتمع ، ولهذا فالكتابة القصصية لا يمكن لها الا ان تخضع الى هذا القانون الوضعي " (١٣) .ولا جديد في الحديث عن ارتباط الرواية بصورة عامة والعراقية على وجه الخصوص بالواقع والمجتمع العراقي الذي نجد تمثلاته حاضرة منذ البدايات الاولى لهذا

الجنس الادبي في العراق ، مما يمكن ان يعد هو السمة الطاغية فيه على اختلاف المراحل التطورية التي مرت بها الرواية العراقية فضلا عن المغامرات التجريبية التي حاولت الخوض فيها من غير ان تبتعد او تقطع الصلة بالثقافة المنتجة لها ونعني بها ثقافة المجتمع وبناه الضاربة في اعماق الروائي ومن ثم نصه المنتج ، لذا فقد ظلت الرواية العراقية " تدور في فلك الواقع الاجتماعي ومشاكله وصراعاته التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعامل الفكري والاقتصادي والديني مما جعل الكاتب والقاص العراقي يخضع هذه العوامل للمعالجة في نتاجاته ، كاشفا عن صور الواقع بمستويات متنوعة ومتباينة قدمت جزءا من مشاهد واقعية للحياة والواقع العراقيان " (١٤).

واختيارنا للرواية العراقية الصادرة بعدعام٢٠٠٣ انما جاء لأسباب عدة منها الكم الكبير من المنتج الروائي الذي تطرق لظواهر اجتماعية – بشكل مباشر أوغير مباشر – ماضية او حالية من غير ان تخضع في غالب الاحيان للتابوات المتعارف عليها مستغلا فسحة الحرية المتاحة في هذه المرحلة المضطربة وغير الواضحة الملامح والاتجاهات على صعد مختلفة ، فضلا عن غياب الرقيب السلطوي الذي كان يشذب ويهذب تلك النصوص وفقا لما تقتضيه سياسة السلطة وتوجهاتها ، ومن الاسباب الاخرى الدافعة لاختيار التاريخ اعلاه ، هو بروز ظواهر جديدة على الساحة العراقية هي نتيجة لتلك التحولات التي طرأت على المجتمع العراقي بجزئياته المختلفة السياسية والدينية وغيرها من العناصر المشكلة لذلك الكل الذي يكون من ثم ملامح المرحلة ، الذي حاولت بعض الروايات نقله كما هو في تسجيل واقعي يقرب من التوثيق التاريخي للمرحلة وظواهرها المستجدة ، في حين اتخذ البعض الاخر من هذه الروايات تلك المتغيرات وفضاءاتها الزمانية والمكانية اتخذت منها خلفيات وبنى عميقة ابرزت على السطح تلك الظواهر المومه اليها .لذا

سنحاول في الجزء التالي من هذا البحث تتبع بعض الروايات والوقوف على اهم الظواهر الاجتماعية الواردة فيها .

ثانيا : الدراسة التطبيقية

في هذا الجزء الذي خصص للدراسة التطبيقية ، سنحاول فيه تتبع بعض الظواهر الاجتماعية التي وجدنا لها ورودا في الروايات موضع الدرس ، وقد اشرنا سابقا الى الاسباب الموضوعية التي دعتنا الى اختيار الروايات الصادرة بعد عام ٢٠٠٣ ، وهذا التحديد الفضائي اي الزمان –بعد ٢٠٠٣– ، والمكاني – العراق – ، انما كان لتحديد الوسط الذي سنجده حاضرا مع ما يتخلل النص السردي من أسترجاعات لكثير من الاحداث التي مرت على هذا البلد وكانت لها تبعات شكلت انعطافات كبيرة وكثيرة ومتغيرات في النسيج الاجتماعي والبنى التحتية لهذا المجتمع ،لذا تشير سنيشيا يانوثا الى اهمية ادراك الوسط الذي يتحرك فيه ابطال العمل السردي اذ تقول " ان كشف الوسط الذي تحرك فيه البطل –كشف جميع الظروف التي جرت فيها حياته الاجتماعية والشخصية –هو الشرط الاول والمهم جدا بالنسبة الى الانعكاس الواقعي للعمليات الحيوية في الابداع الدرامي " (١٥) .

وثقافة الوسط الذي حدد النتائج الاجتماعية من ظواهر تعد نتيجة لتلك الثقافات المترسبة ، انما كانت في معظمها بفعل عوامل سياسية او اعراف اجتماعية او اقتصادية .. الخ انتجت كل هذه العوامل وغيرها من ظواهر لا يمكن ان نفصل بينها لتداخلها ، اذ لا يمكن ان نفصل السياسة وما مر به البلد على اختلاف المراحل والحكام الذين تعاقبوا عليه مع ما امتاز حكم معظم هؤلاء الحكام من ظلم وبطش وجور انتج شكلا من اشكال الصراع بين الفرد والسلطة ووسم المجتمع احيانا بالعسكرة او بالتمرد او بسجونه وتعذيبه في مرات كثيرة ،وفي الوقت نفسه لا يمكن ان نفصل هذا العامل السياسي عن العوامل الاقتصادية التي كانت في جزء كبير منها من تبعات ذلك الحكم وحروبه

المتكررة ، او السحق الاقتصادي والاجتماعي الذي عانت منه بعض الفئات المهمشة في هذا المجتمع ، فضلا عن العوامل الاخرى ومنها الدينية والاعراف الاجتماعية التي سادت وما تزال التركيبة الاجتماعية للبيئة العراقية ، وقد عالجت الرواية هذه الظواهر ودوافعها اما بشكل مباشر من خلال جعل تلك الظواهر وبيان الدوافع والعوامل المؤدية لها ، بجعلها المرتكز الاساس والمبنى المركزي الذي يقوم عليه الفعل السردي ، اومن خلال الاشارات غير المباشرة التي تأتي ضمن سياق سردي يشير من غير تصريح واقرار مباشر ، انما من خلال الانعكاس العملي لتلك العوامل ودوافعها على المتغيرات الظرفية والاجتماعية التي تجتاح البلد وفقا لها ،وهنا يتضح اشتغال الروائي لا انشغاله بالهم الاجتماعي المنتج للنص السردي .

والمتغير الظرفي الذي شهده العراق بعد عام ٢٠٠٣ يمكن ان يعد هو الابرز معالجة وظهورا في الروايات الصادرة بعد هذا التاريخ ، منها ما مر بشكل تقريري مباشر وكانه ينقل بكثير من التقريرية والفوتغرافية تلك المشاهد المتحققة بعد دخول الامريكان وما طرأ على المجتمع العراقي من تغييرات افرزت ظواهر هي في معظمها مستجدة ودخيلة على هذا المجتمع ، وروايات اخرى بينت الانعكاس المتحقق بفعل الاجتياح الامريكي والاشارات السيميائية لذلك المتغير الظرفي الذي عد في هذا الشكل خلفية للأحداث لا عنصرا بارزا في المبنى السردي للعمل . ففي رواية (القتلة) لضياء الخالدي ،نجد تلك التقريرية المباشرة لكثير من الظواهر التي اجتاحت المجتمع العراقي بعد الاحتلال الامريكي له وما افرزته من ظهور للمليشيات الطائفية والقتل على الهوية او بدواعي الثار والانتقام في بعض الاحيان ، فضلا عن التغييرات الديمغرافية التي شهدتها المدن العراقية لاسيما بغداد ، من ذلك قوله " كل رصاصة تنطلق ، بعبثية او قصد في سماء حي من احياء بغداد يعني قتلا لملامحها ، تشويه متعمد يبعث على تغيير صورة قديمة الى صور اكثر بشاعة . احياء العامرية والسيدية والحمراء والعدل وابو غريب والصليخ والاعظمية وسبع ابكار وغيرها ..دخلت في حالة تاريخية نادرة .

دخلت تلك الاحياء لعبة من دون ارادتها مع احياء الصدر والشعلة والبياع والشرطة الخامسة والكاظمية والعبيدي والتراث وغيرها ..هذه المسميات تجسدها مشاعر وافكار تجد من ينصت لها .."(١٦) هذه التغيرات التي دفعت (عماد) وهو الشخصية الرئيسية هنا الى ان يصبح واحدا من هؤلاء القتلة والوشاة الذين كان لهم اليد الطولى في البلد ضمن هذه المرحلة ، اذ بدأت الرواية بعملية الاغتيال التي نفذها وخطط لها (عماد) بحق جاره ابو حمدان لا لشيء الا لأنه يجد فيه شخصية سيئة وهو في الوقت نفسه من طائفة اخرى " مات ابو حمدان . استدرجته بعد الظهر من متجره في الكرادة .... اخذته الى نهاية العامرية بعيدا عن البيوت والسابلة ... ينزل الاصلع ويتوجه نحونا مركزا نظره على ابي حمدان الذي ابتسم معتقدا انه صديقي ومع انحناءة جسدي نحو الاسفل بادره برصاصة حطمت راسه " (١٧) وشخصية عماد من خلال كثير من الاشارات المبثوثة في هذه الرواية وفي كثير من المواضع التي يعمد فيها الى وصف نفسه تشير الى انه شخصية انعزالية عاشت معظم عمرها على الهامش ، غالبا ما يكون في الصفوف الخلفية في اي نقاش او حركة يكتفي احيانا بالمشاهدة وابداء الأراء التي يخفي احيانا الكثير منها لتردده وخشيته وانكماشه امام من هو اقوى منه او من هكذا يظنه ، وربما هذا هو الدافع المباشر الذي كان يشكل الباعث على ان ينتهج هذا المنهج الجديد ويتبناه ، وهو الانتماء الى فئة يمكن ان تعد مليشيا هدفها التصفيات الجسدية التي تعتمد في كثير من عملياتها على ما يشي به عماد وما ينقله للمجموعة من معلومات ، فضلا عن اتخاذه للشخصية الوديعة التي عرف بها ضمن نطاق معارفه وجيرانه اتخذ منها سبيله لتجنيد عناصر اخرى ضمن هذه المجموعة ، فكان ان انظم عن طريقه عنصران جديدان هما كل من (حمدان وسلمى)الذي يقف وراء انتماءهما دافع الثأر، الاول لأبيه الذي قتل على يد عماد وهو جاهل بذلك ، وسلمى التي تريد الانتقام لخالها الذي قتل في حي الجامعة ، وهناك الشيخ (مؤيد) الذي يدير مليشيا في منطقة البياع تتستر بلباس الدين وتتخذ من الجامع مقرا لها . ومن اللافت للنظر ان ادارة المجموعة التي ينتمي لها

(عماد)معظمهم من المعارضين الذين كانوا في الخارج والذين عادوا الى البلد بعد ما يعرف بالتحرير وفي ذلك اشارة واضحة الى دخول تلك الظواهر على يد وبتخطيط من اولئك الذين يتسترون غالبا بأيديولوجيا المعارضة متخذين من يد مواطني الداخل اداتهم لتنفيذ تلك الجرائم .

اما في رواية (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد السعداوي ، نجد الشكل الثاني الذي اشرنا اليه سابقا الا وهو ان جعل من تلك المتغيرات على الصعيد السياسي الذي استجد بعد الاحتلال اتخذ منها خلفية لذلك الصراع المستجد المتمثل بالعنف الذي ضرب العراق ، وكان الموت يدور في احياء بغداد وازقتها يحصد الارواح " سرت لتفقد المكان من حولي . لم ار غير الجثث المرمية في كل الارجاء .جثث نائمة على اسفلت الشارع وعلى الارصفة . واخرى تجلس متكئة على الجدران ، واخرى تنحني بنصف جسدها من الشرفات او تحتضن بعضها عند مداخل الشقق والغرف " (١٨) وكأننا هنا ازاء لوحة بانورامية لمشهد الموت وما خلفه من جثث اتخذت اوضاعا مختلفة يجمعها عنصر الموت فقط ، وفي هذا الجانب يتضح اشتغال احمد السعداوي واضحا في رسم هذه اللوحات التي تنتمي في جوهرها للواقع من غير ان يكون الانشغال والتقريرية هي المستند الاساس له ، ليوسم النص من ثم بالجانب الابداعي الذي أنمازت به هذه الرواية ، فضلا عن ان الروائي في موضع سابق لذلك المشهد البانورامي كما اطلقنا عليه يتبنى فكرة ينقلها على لسان الساحر مفادها " ان كل شخص فينا لديه نسبة من الاجرام تقابل نسبة معينة من البراءة . ربما يكون من قتل غدرا ودون ذنب شخصا بريئا هذا اليوم ولكنه كان مجرما قبل عشر سنوات ..." (١٩) جاعلا العقوق والعنف ضد الزوجة شكلا من اشكال الاجرام التي تبرر قتله وتخفف من بشاعة الجريمة المتحققة بالتصفية الجسدية له ، والى جانب ثيمة العنف والقتل التي طغت على الروايتين السابقتين وما خلفته من مشاهد القتل والجثث نجد الى جانب اخر ظهور عنصر مشترك اخر وهو العرافة (شكرية)في رواية (القتلة) و(الساحر)في (فرانكشتاين) وهما شخصيتان كان

لهما حضور بارز هنا يرتكز كلا الروائيين اليهما في تبني بعض المواقف ، لاسيما تلك التي تبرر للقتل والتنكيل ، وفي ذلك تصريح واضح بالجهل الذي ساد أو عمد هؤلاء الدخلاء على ان يكون هو العنصر الذي يسود المجتمع العراقي بعد تلك التغييرات المنشودة التي اتخذت على ايديهم مسارات اخرى غير ما كان ينشده عراقيو الداخل .

اما رواية (الكافرة) لعلي بدر، فتنقلنا الى اجواء اكثر قتامة وعنفا حينما يدخل باشتغال تخييلي الى تلك المدن او القرى خارج بغداد تلك التي يسيطر عليها المسلحون وما يعيشه ابناء تلك القرى في ظل هذه السيطرة الباطشة لهم وانقسام المجتمع هناك ، فالرواية التي جاءت سردا على لسان الشخصية المركزية فيها (فاطمة) انما حاولت التفصيل في تلك الاحداث والمشاهدات الافتراضية التي حاول ان يتصورها الروائي لأحوال تلك القرى ، فتصور البطلة اجواء الرعب والخوف التي اجتاحت القرية بعد سيطرة هؤلاء المسلحين وكيف اضطرت هي وامها الى العمل في خدمتهم لتكون شاهدة عن قرب على عمليات القتل والسبي التي كانوا يمارسونها ، فضلا عن حفلات اقامة الحد التي كانت تجري غالبا بالشبهة وما فرضه هؤلاء من مظاهر محددة بداعي تطبيق الشريعة ،وكما في النصين السابقين يعمد الروائي هنا الى الوقوف ازاء الشخصيات التي انتهجت طريق العنف ليحاول سبر الاغوار النفسية والايدلوجية التي شكلت دوافعها لهذا السلوك ، وتجسدت هذه الشخصيات هنا بشخصيتي الاب والزوج ، اللذين انضما لصفوف المسلحين ، مع بيان الدوافع التي تقف وراء هذا الانضمام ، وكأننا هنا في استكمال لرواية القتلة التي تحاول ان تسبر اغوار الشخصيات وتحدد دوافع كل منهم لذلك الانجراف الذي برز نحو العنف والانضمام لتلك الجماعات المسلحة على اختلاف مرجعياتها وايدلوجياتها ، فالأب في (الكافرة) الذي هو في الاساس كما تصفه البطلة شخصية تميل الى العنف والتجهم في معظم حياتها ميالا الى التعنيف والغضب غالبا يعاني من اجحاف الحياة معه مما انعكس بشكل واضح على

حياته ومن ثم على اسرته التي كانت تخضع له بشكل كامل خوفا من ردود فعله العنيفة، وتحاول (فاطمة) ان تحدد الاسباب لذلك اذ تقول : " ... كان والدي يكن ضغينة كبيرة للحكام ، ويرمي اسباب فقره عليهم ، كاد اليأس ان يستولي عليه ، وهو يجتر مرارته التي اججها اليأس من الصراع ، في بلد يتقهقر... فضاع في قفار الضغينة والكراهية .وفي الليل حينما بدأ نهيق الحمير وصياح الكلاب ، بالخفوت ، هاجم المسلحون القرية ، واستولوا عليها كلها . سرعان ما قرر والدي الالتحاق بالمسلحين المتشددين " (٢٠) وتستكمل الساردة بيان تلك الاسباب في موضع اخر حينما تقول " ... كان شخصا مهملا ، بسبب فقره ، اراد ان يصبح مهما ، والاهمية تأتي إما من القوة اومن الثراء ، في المكان الذي نحيا فيه ، وهكذا بالتحاقه بالمسلحين ، اصبح رجلا مهما ، وقياس اهميته هو انه لم يعد احد يتجرأ على النظر ، في عينيه " (٢١) فكان ان بدأ بعد تحوله ذاك الى الانتقام من كل من كان يسخر منه اومن يستشعر بدونيته امامهم بداعي تقاعسهم عن الجهاد ضد الحكومة الكافرة ، على الرغم من اقرار الساردة من انه شخص غير ملتزم دينيا ويسكر بين الحين والاخر (٢٢) وازاء هذه الشخصية وبيان الابعاد السايكولوجية التي شكلت تلك الشخصية الميالة الى العنف والانتقام نحدد ابعاد الصراع القائم بين الفرد والمجتمع ، إذ ان هناك " من يعتقد دون ريب ان الفرد والمجتمع يمثلان طرفي صراع ، كما ان هناك من يثبت ان الوضع الانساني كله ، لا يتعدى الصراع بين الطبقات في المجتمع الواحد " (٢٣) لذا نستطيع ان نضفي سمة الصراع بين الفرد والمجتمع على هذه الشخصية التي حددت اسباب تلك الدوافع بالفقر والاحساس بالدونية من قبل ابناء المجتمع الذي تعيش فيه ، فضلا عن موقفها المتمرد الرافض للسلطة بصرف النظر عن السابقة منها ام الحالية ، اذ لم تشر الساردة الى تغير الاحوال بعد الاحتلال ، انما كان هناك ايمان مطلق متجذر في شخصية الاب بدور الحكومة في ذلك ، فهم جميعا من غير تحديد السبب المباشر في ذلك الفقر فضلا عن ما تخلقه من فوارق طبقية ، فكل هذه الاسباب شكلت باعثا قويا في خلق تلك الروح

المتمردة التي وجدت في الانضمام الى المتشددين الفسحة للتعبير عن ذلك الغضب ضد السلطة اولا وضد المجتمع القريب الذي يعيش فيه ثانيا .

واذا ما كانت شخصية الاب وفقا لطبيعتها السايكولوجية شخصية ميالة الى العنف ، فأن شخصية الزوج يمكن ان تدرج ضمن الشخصيات السلبية ، أذ عاش معظم حياته– القصيرة – في عالم الاحلام والخيال ، لا يجيد غير الرسم والالوان ، شخصية يمكن ان نصفها بالانعزالية وغير المتكاملة الأبعاد من حيث الاتزان والرجولية ، فهو الابن الوحيد لام تكفلت بالعمل في السوق لأعالة نفسها وابنها ، " كانت امه تقوم ، بكل شيء، في الواقع ، أما رياض ، لم يكن سوى طفل ، لا يعرف ان يعمل اي شيء"(٢٤) هذه الشخصية الهادئة الوديعة الحالمة التي تصف عيشها القصير معه باجواء سادها الهدوء والسكينة بانقطاع شبه كامل عن الواقع وما يجري فيه من موت وخراب ،لتتعرض فيما بعد الى مواقف كان لها تاثير مباشر في تغير سلوك شخصية الزوج (رياض) ، تحدد الساردة حدثين مهمين في حياته ، بصرف النظر عن الحادثة الاولى التي جمعته بالمسلحين حينما اعتقل من قبلهم وتعرض للضرب والتنكيل بسبب رسوماته ، الا ان الساردة تستوقفها حادثتين مهمتين ربما لانهما جرتا بعد الزواج وهي هنا عنصر مشارك وشاهد مباشر عليهما ، الاولى حينما طلب المسلحون من الزوج (رياض) قتل الكلب الذي رباه ، ما ادخله في حالة صراع داخلي بين ما يجب ان يستجيب له من تنفيذ الاوامر والعاطفة التي تجمعه مع ذلك الكلب ، فضلا عن عدم قدرته على ان يقوم بذلك بنفسه لجهله باستخدام السلاح ، فضلا عن الجانب العاطفي الذي اشرنا اليه سابقا " الا انه لم يستطع اطلاق الرصاص على كلبه الذي احبه . بقي اياما ، لا يستطيع الكلام ، بعدها وجد وسيلة تنقذه منهم ، إذ طلب من احد الجيران ان يقتله مكانه . وفي لحظة التنفيذ ، كان قد وضع راسه تحت الوسادة ، كي لا يسمع صوت الكلب وهو يموت .وبقي ثلاثة ايام يبكي ولا يكلم احدا" (٢٥) وهنا تتضح الابعاد السلبية الانهزامية لهذه الشخصية الخاضعة والمستسلمة فضلا عن اتضاح ابعادها البعيدة عن

العنف والقتل . لتاتي من ثم الحادثة الثانية التي كان لها تأثير اكبر غيرت من سلوك الشخصية واتجاهاتها وان كانت في جوهرها تنم عن عدم اكتمال ابعادها وانها شخصية غير متبلورة يمكن ان تشكل وتنجرف في اتجاهات مختلفة لعدم ارتكازها على معرفة ونضج حياتي وعقلي قادر على تحديد ملامح قارة لها ، اما ما نعنيه او ما حددته الساردة بالحادثة الثانية فهي وفاة الام ، ونعني بها (ام رياض) تلك المعينة والمعيلة لهذا الطفل غير الناضج الذي هو الزوج هنا ، فبعد حالة الحزن والبكاء المتواصل الذي سيطر عليه لأيام طوال ، وقف بعد مدة امام حقيقة ان لا معيل له وانه عاجز عن توفير متطلبات بيته وزوجته ، ليشكل ذلك انعطافا في سلوكياته وخياراته أستشعرتها الزوجة " كنت اخشى ان يفاجئني بشيء، فحياتي لم تعد تحتمل المفاجآت ، حاولت التقرب منه ، الا انه كان يبتعد عني ، عندما ابادره واكلمه ، يتظاهر بانه لا يسمع ، كمن لا يرغب في الامر ، كأنما هذه هي النهاية التي يجب ان تصل اليها علاقتنا . لم يعد يصغي لي ، بل كما لو انه يصغي الى احد اخر . بعد مدة وجيزة ، اخذ يتغيب عن المنزل طويلا ، يذهب عند المسلحين ويمضي اليوم كله معهم ، احيانا يأتي احد المسلحين معه ، وهو صامت يصحبه ويذهبان معا . لقد حدست عند ذاك الوقت موته . عرفت ان يومه قريب "(٢٦) فالصوت الخفي الذي كانت تستشعره الزوجة يخاطب (رياض) وهو دائم السكون وكانه في حالة اصغاء لا نستطيع ان نصفه الا بحالة الأدلجة وغسيل الدماغ الذي يتعرض له على يد المسلحين المتشددين ، فحالة الفقد التي تعرض لها والعوز المادي الذي ضيق عليه بعد وفاة الام يمكن ان يعدا الدافع الاول لاتخاذ خطوة الانتماء او للثغرة التي استطاع النفوذ من خلالها ذلك الفكر المتطرف ،فما كانت تظنه الزوجة ان المال هو الدافع لذلك الخيار بتنفيذ العملية الانتحارية التي سينفذها زوجها بتخطيط من قبل المسلحين الذي جعلها تشعر بالحزن والاشفاق عليه والبكاء خشية فقده ، انقلب الامر برمته بعد ان اكتشفت من خلال الحوار الذي جرى بينهما ان طمعه بالجنة

وبالسبعين من حور العين اللواتي سيضاجعهن هناك هو دافعه لتنفيذ ذلك الانتحار " – اسكتي ... غدا سينتظرني سبعون حورية عذراء على باب الجنة

- ماذا
- سبعون حورية عذراء ستكون بانتظاري غدا . قالها بصوت واثق
- حورية ؟ قلتها بتكهم كامل
- نعم حورية " واخذ يبلع ريقه . ثم اردف " سبعون حورية " (٢٧)

ليؤكد الروائي من خلال هذه الشخصية تلك الفرضية القائمة على ان الجنس والمال هما وسائل الاغواء الاكثر تأثيرا بأولئك الشباب المغرر بهم ، فضلا عما حدده سابقا من السلوكيات النابعة عن مرجعيات سايكولوجية مستندة الى حالة الصراع القائمة بين الفرد والمجتمع التي وجدت في تلك الممارسات العنيفة تنفيسا لها عن تلك المكنونات . غير ان العامل المشترك بين معظم الروايات التي مررنا عليها وغيرها كثير ، ان الضحايا هم غالبا من البسطاء والمدنيين ، بصرف النظر عن التبريرات التي يحاول القتلة ان يضفوها على تلك الجرائم ، لذا يقول علي بدر على لسان (فاطمة) بعد انتحار زوجها بعملية كما اسماها جهادية ، إذ تقول " كان اغلب المقتولين هم من الباعة المتجولين ، بأسمالهم المثقلة مثل الحمير ، الباعة الذين يضعون حزم بضائعهم تحت القناطر ، قتل باعة خضار ، باعة تمور ، وشبانا ينقلون حمولات غريبة ، تتوازن فوق دراجاتهم الهوائية ، علب العاب بلاستيكية ، شرائط موسيقى ، ساعات ، نظارات سوداء ، كنت اعرف اكثرهم ممن كانوا يبسطون على الارض ونشتري منهم اقلام حبر ، قوالب صابون .

لم اتخيل ابدا ان الكافرين الذين استهدفهم زوجي هم هؤلاء الباعة الجوالون " (٢٨)

وثيمة العنف التي شكلت ملمحا من ملامح الحياة والواقع الذي اجتاح العراق بعد الاحتلال الامريكي ، التي عمدت معظم الروايات الصادرة على نقله كما اشرنا

بشكل مباشر او غير مباشر باشتغال يتارجح بين المباشرة والتقريرية مرة والفنية الابداعية التي يبرز فيها الاشتغال الفني للروائي بشكل واضح في مرات اخر ، لكنها في كل اشكالها تحاول ان تلم بكل جزئيات ذلك الواقع وتفصيلاته ، لذا وجدنا تلك الروايات التي ركزت على فئات معينة في هذا المجتمع تعرضت لهذا العنف والتغييرات التي اصابت البنية الاجتماعية في نسيج المجتمع العراقي بعد هذه المرحلة ، واعني بها تلك الروايات التي ركزت على فئة المسيحيين بوصفهم جزءا من هذا المجتمع اولا ، واستنادا الى ما تعرضوا له بذريعة الاختلاف الديني الذي اباح للآخر قتلهم وتهجيرهم وسلب املاكهم ، ومن تلك الروايات على سبيل المثال لا الحصر ، (يا مريم) لسنان انطوان (٢٩)، و (طشاري) لانعام كجه جي (٣٠) ، و (سابرجيون) لعامر حمزة (٣١) .

واستنادا الى تلك المتغيرات وما اجتاح المجتمع العراقي من ظواهر بفعل ذلك العنف الذي ساد ، تبرز ظاهرة اخرى جديدة وهي الهجرة او النزوح القسري سواء داخل البلد ام خارجه (٣٢) ، من ذلك ما اختارته (فاطمة) في رواية الكافرة بعد كل تلك الاحداث التي اشرنا اليها سابقا ، فضلا عن غيرها لاسيما بعد استشعارها بالتهديد المباشر من قبل المسلحين فما كان منها الا ان تبحث عن سبيل للخروج والخلاص ، حيث تقول في منلوجها الداخلي " ماذا افعل هنا ، في هذا المكان ؟ ما مصير حياتي المهددة ، وروحي المعرضة للخطر باستمرار ؟ ... ارتجفت لفكرة كنت سمعتها منذ زمن بعيد من راضي زوج امي . ان في المدينة مهربا ، يمكنه بمبلغ من المال ان يقود اي شخص راغب بالهرب ، الى اوربا ، قلت لم لا ؟ كانت هذه الفكرة الوحيدة التي آنستني ظاهريا ، وجعلتني متيقظة حتى الصباح " (٣٣) .

وثيمة الهجرة والنزوح القسري اشتركت بها روايات عدة ، غالبا كان الوضع السياسي وتفشي مظاهر العنف والمليشيات هي باعثها الاساس ، وامعانا في اضفاء

القتامة على تلك الظاهرة ، فقد ركز عدد غير قليل من الروائيين على الجانب النسوي فيها ، حينما اضطرت هؤلاء النسوة ابطال تلك الروايات او الشخوص الرئيسية فيها الى اتخاذ هذا القرار بعد ان فقدن المعيل والسند الذي غالبا يكون احد ضحايا الارهاب والقتل في هذا البلد ، واضفاء سمة البطولة على تلك الشخصيات لم اضفه اعتباطا هنا انما جاء عن قصدية واعية لما اتسمت به تلك الشخصيات من قدرة عالية على اتخاذ القرار والرغبة بالتخلص من الواقع الخارجي الذي فرض عليهن ازاء تلك الاحداث السياسية والاجتماعية المتسارعة التي جرفت ضحايا كثيرة في سيلها ذاك ، فما كان منهن الا البحث عن الخلاص والبحث عن مكان افضل للعيش ، فبطولتهن لم تتجسد في تغيير الواقع السياسي او الاجتماعي الذي وجدن انفسهن فيه ، انما كانت في محاولة تغييره وان كان على المستوى الشخصي الضيق بالهرب من ذلك المكان – العراق – بوصفه بيئة طاردة ومعادية .ومن تلك الروايات على سبيل المثال لا الحصر ، رواية (سيدات زحل) للطفية الدليمي ورواية (دوامة الرحيل) لناصرة السعدون .

ففي رواية (سيدات زحل) التي حاولت ان تجمع فيها لطفية الدليمي شخصيات نسائية متعددة من بيئات ومستويات ثقافية واجتماعية مختلفة من خلال اجتماعهن بمكان واحد وهو عمان المنفذ الاول للخلاص مما هربن منه ، كل بحكاية لا تبتعد كثيرا الا بتفصيلات صغيرة عن الاخريات ، فجميعهن كانت الحروب لاسيما ما حل ببغداد بعد عام ٢٠٠٣ هي الباعث الاول لذلك الهرب واللجوء الى المفوضية العليا للاجئين بغية الانتقال الى المكان الحلم او الخلاص مما حل بهن على المستوى الشخصي او بعيدا عن ذلك الجحيم الذي حل ببغداد ، " في كل تلك الليالي والنهارات المروعة كان الشر يتنزه حولنا ويسخر منا ، يغير سحنته كل برهة ، يصير صاروخا او رجلا ملتحيا او عبوة ناسفة او صديقا يخون ، ما ان نحس اقترابه ونتحسب له حتى يغير سيماءه كحرباء ويكمن لنا بهيئة لا نتوقعها " (٣٤)

او قول الرواية (حياة البابلي) وهي الشخصية الرئيسة في هذه الرواية ، قولها في موضع اخر بتصوير اكثر تفصيلا لذلك الدمار والخراب بصوره الجديدة التي حلت ببغداد وتغير ملامح المدينة بعد ذلك الاجتياح لا العسكري فقط انما الفكري والايديولوجي الجديد ، إذ تقول " لا اعرف الى اين تتجه خطاي ، مدينتي استحالت متاهة حين اختفت العلامات والاسماء من الطرقات ، اتخذت الشوارع اسماء جديدة واختلطت الجهات ، ازيلت الساعات العمودية من الساحات واستبدلت صور الحاكم المهزوم بصور رجال ملتحين بعمائم ونظرات جامدة وعباءات وحلت محل شعارات الحزب الواحد عبارات دينية وطائفية تبشر وتنذر وترهب ، غطت جميع جدران المدينة وجسورها واعمدتها اللافتات السود والخضر فلم يجد الناس الامكنة التي اعتادوا التوجه اليها في صباحات العمل ، ريح فاتكة عصفت بالمدينة ومحت كل اسم واشارة وغيرت اشكال المباني ومواقعها فتبدد الزمن وتماثلت الوان البيوت الى لون الرماد وحجبت النوافذ والشرفات بتمويهات نباتية ورايات قبائل وطواطم اعراق .. " (٣٥) ،فقد تكررت هذه الصور الوصفية لذلك الاثر النفسي المختلط مع وصف المكان بتغير ملامحه وتغير الشخوص الذين سيطروا عليه لا تكرارا قائما على الحشو والاطالة قدر ما هو تعبير عن التوكيد الصوري بتتبع تفصيلاتها واثرها على المكان وافراده على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم وسواء اكانوا ضحايا ام جلادين ، فضلا عن انه توكيد نابع من الاثر النفسي المسيطر على الراوية الذي ما انفك يظهر بين الحين والاخر لتعميق الصورة والتنفيس عنها بوصفها صورة ملحة شكلت من ثم ملامح كل تلك الشخصيات التي ستأتي على ذكرها في هذه الرواية . والرواية قائمة بمجملها على تلك الكراسات لهؤلاء النسوة التي تسرد كل منهن حكايتها وكيف انتهى بها الامر الى هذا المكان في انتقالات زمانية الى جذور الحكاية مع كل واحدة منهن وبيان العوامل الظرفية والنفسية التي دفعتهن الى اختيار هذه النهاية التي يحاولن ان يجعلن منها بداية لحياة جديدة ونهاية لعذاب جسدي ونفسي بفعل تلك

المتغيرات التي حلت على الساحة العراقية ابتداء من السلطة السابقة وما جرته من ويلات ومرورا بالاحتلال وتبعاته وسجونه واغتصابه للمعتقلات وليس انتهاء بالمسلحين كل وفقا لمرجعياته التي غالبا ما يحكمها التطرف الديني الذي ينجرف احيانا الى تحليل المحرمات واستباحة الاخر جسدا وروحا بداعي تطبيق الشريعة او نصرة المذهب ، فجاءت كل واحدة من هذه الكراسات – المذكرات – لتحكي تلك الحكايات وكأنها محاولة لتغطية اكبر قدر ممكن من صنوف التعذيب والاستبداد الذي تعرضت له المرأة العراقية في ظل تلك الظروف من خلال تسليط الضوء على بعض الجوانب التي عاشتها والظواهر الاجتماعية التي غالبا كانت من متغيرات الوضع السياسي وافرازاته ، " اعطتني البنات في لقائنا الاخير عند مفوضية اللاجئين في عمان ما سجلنه من قصصهن في اوراق مبعثرة اضفتها الى كراساتي ، وفي لحظات الهدوء النادرة– بين انفجار مفخخة وعبوة ناسفة وموت يتربص بي – احاول تجميع الشظايا لأعيد تشكيل صورة مدينة محطمة واناسها ، وغالبا ما تشتبك الحكايات بين يدي ويرتبك كل شيء فأدعها على ما هي عليه وامضي قدما ... فلأنتقل بين الازمنة واحوال مدينتي في عصورها وحكايات البنات واصنع صورة من كل هذا الحطام كفسيفساء تشبهنا .." (٣٦) فتاتي تلك الاوراق التي جمعتها حياة لتسرد لنا تلك الحكايات التي كما اشرنا سابقا جمعتها تبعات ذلك الواقع الجديد وافرازاتها ولم تفرق بينها الا بعض الجزئيات البسيطة التي لا تشكل الا مناح متعددة لصورة واحدة وهي صورة الخراب الذي حل بالمكان اولا ليترك اثره الجسدي والنفسي من ثم على اولئك النسوة اللواتي عاشته ، خرابا لم يقف عند حدود تغير ملامح المكان انما امتد ليشمل القتل على اختلاف اسبابه وصوره فضلا عن حالات المطاردة بداعي الرأي المخالف من غير استثناء لجنوسية صاحب الرأي ذاك ، او الذي وصل حد استباحة الاعراض والاتهام بالكفر استنادا الى طبيعة المهنة المزاولة او ارتداء الحجاب من عدمه ، كل هذه الاسباب هي ما دفع هؤلاء

النسوة الى ان يلتقين من غير موعد مسبق امام مفوضية اللاجئين في عمان بعد ان هربن – كما تقول الراوية – كل بكارثة على مقاسها من بغداد(٣٧) فتتشكل هنا طبيعة الصراع المزدوج الذي عانت منه اغلب نسوة الرواية بين صراع خارجي مع المجتمع والسلطة على اختلاف شكل تلك السلطة وما افرزه من ثم من صراع داخلي عانين منه وما زلن وان اختلف المكان، تكشف عنه تلك المنلوجات الداخلية التي تبين بها الساردة ذلك الضعف الذي يجتاحها –بوصفها إنموذجا – إذ تقول في واحدة من تلك المنلوجات التي تكشف عن ذلك الصراع الداخلي الذي اشرنا اليه ، "اخادع نفسي احيانا واقول انا قوية، بينما يطقطق داخلي ويتهشم كزجاج نوافذنا كل ليلة ، اضحك من قدرتي على تمثيل دور المرأة الشجاعة الذي اؤديه امام الاخرين ، اضحك من رضوخي لفكرة البسالة المفترضة التي يطالبنا بها الناس ، لماذا لا ابدي هشاشتي الانسانية ؟ كم تمنيت ان اكون قوية الى درجة اعلان ضعفي وهشاشتي ." (٣٨) هذا الصراع والهشاشة والضعف ازاء كل تلك الاحداث هوما دفعها في موضع اخر وهي الكاتبة المثقفة ذات المواقف الفكرية والحياتية التي تحاول ان تتعاطى معها بعقل ناضج وقادر على التحليل والاستنتاج المنطقي ، الا ان هذا المنطق والعقل يتلاشى ويختفي ازاء صوت الدمار العالي والموت الذي لم يبق ولم يذر مع عجز عن رؤية اي بارقة امل في الخلاص منه ، فتلجأ كحل اخير وهو سلاح العاجز الى ما علمتها جدتها من تلك الطلاسم التي كانت تكتب لحفظ المواليد الجدد ، فتقوم بكتابة اسم بغداد في واحدة من تلك التي علمتها جدتها علها بذلك تحفظ بغداد وتدفع عنها الموت الذي يلاحقها هي وابناءها "اهبط الى السرداب ، آخذ ورقة واكتب اسم بغداد في مربعات على شكل اوفاق وأحجيات ، اوزع الحروف على الجهات والقي الحجاب صباحا في مياه دجلة ، خبرت من جدتي ام قيدار سحر طلاسم الاسماء التي تخفى عن العالمين ، ..." (٣٩) اما رواية(دوامة الرحيل) لناصرة السعدون فكأننا معها ازاء واحدة من شخصيات(سيدات زحل) لكن افردت

لها رواية مستقلة لتأخذ مساحة اكبر في سرد ثيمات الواقع الذي عاشته وافرز تلك الدوامات الماضية واللاحقة ، إذ تبدأ الرواية بسرد تفاصيل تلك الرحلة التي قامت بها الشخصية الرئيسية(إباء)الى عمان صحبها امها الدكتورة (رابية)وقريبها الدكتور(باسل)،رحلة كان دافعها المعلن علاج الدكتورة (رابية) بعد ما تعرضت له في بغداد من فقد الزوج والابن والوظيفة افضى بها الى جلطة اقعدتها عن الحركة فلم يبق الا (إباء) وهي ما تبقى من تلك العائلة التي حملت على عاتقها مسؤولية الام واتخاذ القرارات المصيرية ومنها علاج الام في عمان " حين اتخذت قرار الرحيل عن بغداد ، فوجيء اقاربها . استنكره اكثرهم وحاول بعضهم ثنيها عن القرار لكونها اصبحت انثى وحيدة لم يعد ثمة رجل يحميها ووالدتها ... من اين جاءت بهذه القوة لتجابه اقاربها ، وهي التي تعودت طوال حياتها على وجود من يتخذ القرار نيابة عنها " (٤٠) ، هذا الموقف الذي اتخذته هذه الشخصية المركزية النسوية فضلا عن كل الاحداث اللاحقة هوما يمكن ان يضفي عليه سمة البطولة التي اشرنا اليها سباقا من خلال اتخاذ القرارات اولا ومن ثم البحث عن التغيير والخلاص ، لتكون عمان المحطة الاولى لها ومن ثم الانتقال الى امريكا وهي ما دفعتهم لها مفوضية اللاجئين في عمان .واشرنا سابقا الى ان الرواية تبدأ بطريق الرحلة التي قام بها الثلاثة الذين ذكرناهم بنقل شبه فوتغرافي لذلك الطريق الواصل بين بغداد وعمان ، وكأن الراوية تحاول ان تختزن ملامح ذلك المكان الذي غالبا لن تراه مرة ثانية ، الا ان(أباء) تستند الى تقنية الاسترجاع فيما بعد لندرك من خلالها كل تلك التفصيلات التي عاشتها تلك العائلة التي افضت فيما بعد الى ذلك الهروب القسري الذي اتخذته ، ابتداء من اعتقال الاب المهندس (قيس)على يد الامريكان منذ الايام الاولى للاحتلال، ومن ثم يتكشف انه احد معتقلي سجن ابي غريب الذي عذب به الى حين وفاته جراء ذلك التعذيب والاذلال الذي تعرض له ، اما الام الدكتورة (ردينة) فتفصل من عملها بكلية الطب بحجة الانتماء للحزب الحاكم

السابق وهي الحجة التي حاولت انكارها من دون فائدة لتفقد فيما بعد على يد مجموعة مسلحة عيادتها وسيارتها ، في حين يقتل الاخ (بارق) بعد عملية خطف وتسليب سيارته من قبل مجموعة مسلحة ترتدي ملابس عسكرية بغية اخذ الفدية التي سعت العائلة لتوفيرها الا ان ما استلموه لم يكن الا جثة الابن (٤١)، كل هذه الاحداث التي جرت سريعا وبأوقات متقاربة حاولت الساردة ان يكون زمن الروي فيها سريعا ايضا اذ لم تشغل الا مساحة ليست بالكبيرة في هذه الرواية وكأنها عتبات لذلك الهرب الذي قررته (اباء) لعلاج الام وللابتعاد عن كل تلك الصور المؤلمة التي عاشوها وبعد كل تلك الخسارات البشرية والمادية التي تعرضوا لها منذ بواكير الاحتلال ،ليعود السرد فيما بعد الى التتابع الزمني التصاعدي بالأحداث منذ وصولهم الى عمان وانتقالهم فيما بعد الى امريكا بفعل مفوضية اللاجئين، امريكا التي لم تجد فيها (اباء) سمة الالفة والانتماء والتعايش مع ذلك المجتمع وافراده لان صورة الامريكي المحتل هي التي بقيت ملازمة لها كما لازمتها فكرة ان كل ما تعرضوا له انما كان بسبب ابناء هذا البلد وسياسييهم ، من ذلك ما نجده في ذلك الحوار الذي جمع إباء وباسل بعد ان عرفت بتحويل ملفها في مفوضية اللاجئين الى سفارة الولايات المتحدة إذ تقول " المشكلة اني لو رفضت اللجوء الى الولايات المتحدة ، فلا اظن انهم سيروجون معاملتي .. من جهة اخرى ، كيف سأنظر في وجوه الامريكان ، وارى في كل واحد منهم قاتل ابي " (٤٢) وهكذا تدخل اباء في صراع داخلي بين القبول والرفض بعد كل ما جرته امريكا والامريكيين من ويلات على هذا البلد وكانت هي وعائلتها احد ضحاياهم ، ولما لم يك هناك بديل اخر لذا وجدت نفسها مجبرة على القبول بالانتقال اليه بوصفه مرحلة مؤقته قبل انتقالها الاخير الى نيوزيلاند ، اذا نحن ازاء دوامات متعددة ابتداء من الاحتلال وما جره من ويلات وانتهاء بتلك الانتقالات المتعددة بحثا عن الانتماء والتعايش ، وهو صورة من الصور التي وجد الفرد العراقي نفسه امامها بعد تلك

الاحداث التي جرت في بلده وبروز ظواهر متعددة غيرت من ملامح التركيبة الاجتماعية والانماط الحياتية والتعايش السلمي الذي كان ينعم فيه ابناء ذلك المجتمع

اما رواية (نساء العتبات)لهدية حسين فهي ايضا كسابقاتها ركزت على العنصر النسوي في هذا المجتمع بوصفهم الشخصيات المركزية فيها ، التي من خلالهن نقف على كم المعاناة التي عاشته المرأة العراقية من خلال تلك الحكايات التي تسردها نساء هذه الرواية التي تحمل كلا منهن حكاية فقد وموت ومعاناة بفعل الحروب وسياسات النظام السابق، من ذلك ما ترويه (فطومة) وهي واحدة من الشخصيات الثانوية هنا إذ تقول " كان لي ولدان، ربيتهما بدموع العين بعد وفاة وجي ، قتل الاول في معارك شرق البصرة في السنة الاولى للحرب مع ايران فكرموني واطلقوا علي لقب (ام الشهيد) وفي السنة الاخيرة من تلك الحرب رفض ولدي الثاني الانضمام للجيش الشعبي ، كان قد انهى قبل شهرين خدمته العسكرية واراد اكمال دراسته ، وذات يوم داهم بيتنا رجلان من الامن مع مسؤول الجيش الشعبي في المنطقة واعتقلوه مع عدد من الشبان بتهمة التخاذل ، اختفى اثره لأكثر من شهر حتى اخبروني بانه اعدم وعلي استلام الجثة " (٤٣) وهنا نجد الاشارة الواضحة الى تأثير الواقع السياسي وانعكاسه على افراد المجتمع الذي يتجسم بشكل اكثر مأساوية على نساء ذلك المجتمع بعد فقد المعيل وخسارة الابناء احدهم شهيدا بحرب يجهل الاغلب لم بدأت وكيف انتهت لا يعرفون منها الا كم ما فقدوه فيها ، وولد اخر أعدم بحجة التخاذل ، في مفارقة جعلت من (فطومة)اما للشهيد مرة وفي الثانية اما للمتخاذل كما وصفها الضابط الذي سلمها جثة ابنها . لتجد نفسها بعد كل ذلك تعاني العوز وتكبد مشاق الحياة وهي بذلك العمر المتقدم .فضلا عن ويلات الحصار وما افرزه من زيادة الهوة بين طبقات هذا المجتمع وما عاناه الاغلبية من شظف العيش وصعوبته لاسيما تلك الشريحة من النساء التي بلا معيل "امي تبدأ الحوار مع جارتنا ام عدنان :

- ماذا نفعل بالطحين الاسود الذي وزعوه علينا ؟
- اسود مثل ايامنا ، لا ندري ماذا طحنوا مع الحنطة ؟
- اظنه نوى التمر او أخشابا محروقة او اي شيء يملأ معدة الناس .
- قولي معدة الفقراء ، فالأغنياء لهم حصصهم من الخبز الابيض .
- هذا صحيح ، ولكن ماذا نفعل ولمن نشتكي ؟

ظهرت فطومة في المشهد والتقطت الحديث :

- والله لو نموت بصاروخ ونخلص احسن من هذه العيشة " (٤٤)

والحديث الذي جرى بين هؤلاء النسوة الثلاث بعد ان اجتمعوا في ملجأ الحي هربا من القصف الذي كانت تتعرض له بغداد ابان عام ٢٠٠٣ الذي لم تتوان الساردة عن نقل ما كان يرد في نشرات الاخبار عن تلك الحرب ومستجداتها وسقوط المدن العراقية الواحدة تلو الاخرى في تسجيل اقرب ما يكون الى التسجيل الفوتغرافي التقريري المباشر عن تلك الايام وتسارع الاحداث فيها كما نقلته وسائل الاعلام ، وكأنها كانت النتيجة الطبيعية والمتوقعة لكل تلك الاحداث التي سبقتها من حروب وغزوات وحصار مفروض اجاع البلد وانهك ابناءه لينتهي كل ذلك بسقوط بغداد الذي سجلته الراوية في النشرة الاخيرة التي وثقتها في صفحاتها الاخيرة حينما تنقل في تلك البرقيات التي لخصت ذلك الحدث المشاهد الاخيرة بعد ذلك السقوط إ تقول :

" * قادة العالم وشعوبهم يتابعون ما يحدث بذهول شديد ، الكل يتساءل عن هذا السقوط المريع واختفاء الجيش وفرق الحرس الجمهوري .

*بغداد لم تصمد بملايينها الخمسة اكثر مما صمدت (ام قصر) ذات الاربعين الف نسمة في البصرة

*المدافع والاسلحة مرمية على الطرقات ، والصواريخ مثل جثث بين البيوت .

*دبابات وعربات تابعة للحرس الجمهوري متروكة في الشوارع " (٤٥) اتبدأ بعدها مشاهد جديدة ابتدأت من صدمة العراقيين بذلك الانهيار السريع للدولة وما تلاه من عمليات سلب ونهب وتخريب طالت الكثير من دوائر الدولة ومنشآتها في عملية اقرب ما تكون الى انتقام تلك الفئات المسحوقة من النظام السابق ومن كل رمز يدل عليه " هكذا اخرج العفريت من القمقم اللابد في النفوس وتم التعبير عن سنوات القهر بالسرقات وبالتخريب ما دام البلد بلا قادة ولا قيادات ، لوحة سريالية في كل دقيقة تضاف لها خطوط غريبة ، ومن بين زواياها يهرع الناس الى انفاق سرية اكتشفت ليبحثوا عن مفقودين لهم منذ سنوات طويلة "(٤٦) . ونستطيع القول ان هدية حسين في روايتها هذه استطاعت التوفيق الى حد كبير بين الانشغال بالواقع العراقي والاحداث التي مرت عليها ابتداء من الحروب التي مر بها والحصار الذي فرض عليه وانتهاء بالحرب الاخيرة التي حاولت التوثيق لكل تفاصيلها وما شهدته تلك الايام من انهيار متسارع للبلد فضلا عن الاشارات السريعة للأيام التالية لذلك الانهيار ،نقول وفقت في الجمع بين هذا الانشغال والاشتغال الفني الذي ضمنته روايتها هذه من خلال تسليط الضوء على واقع المجتمع العراقي وتمثلاته من خلال شريحة النساء التي جعلتها إنموذجا لتلك التمثلات بوصفهن الشريحة الاكثر حضورا وتأثرا لاسيما قد عانين من الفقد من جهة وتبعات تلك الاوضاع السياسية والاقتصادية من جهة اخرى وتأثيرات كل ذلك على طبيعة المجتمع ونسيجه من جهة اخرى .

في حين نجد عددا من الروايات طغت عليها سمة الانشغال اكثر من الاشتغال الفني ، حينما عمد اصحابها إلى جعلها وثائق تاريخية ، لاسيما لتلك الاحداث الماضية التي شهدتها الساحة العراقية وانعكاسات الجوانب السياسية والاقتصادية على ذلك المجتمع ، وكأنهم هنا يستغلون فسحة الحرية التي أتيحت بعد الاطاحة

بالنظام السابق والعودة الى ذلك المسكوت عنه وبيان تبعاته على الواقع الاجتماعي لاسيما على الشرائح المتدنية في هذا المجتمع او ما يمكن ان نطلق عليهم في بعض الاحيان الشرائح المهمشة التي هي غالبا الشريحة الاكبر والاكثر تأثرا بتلك السياسات وبالظروف الاجتماعية التي جعلت منهم شرائح مسحوقة اقتصاديا وفكريا ، من تلك الروايات على سبيل المثال روايتي (خلف السدة) لعبد الله صخي ، ورواية (سيد اسود باذنجان) لخضير فليح الزيدي . إذ ان كلا الروايتين نجد فيهما الانشغال التاريخي بتتبع الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتأثير ذلك على طبيعة المجتمع والظواهر التي برزت فيه ، بوصفها نتائج طبيعية لذلك الوسط .

فرواية (خلف السدة) تبدأ منذ صفحاتها الاولى بالوقوف على المراحل الاولى من انتقال ابناء الجنوب الى العاصمة بوصفها المدينة الحلم او اليوتوبيا التي حلموا بها لعيش افضل بعد ان عانوا من شظف العيش وانعدام فرص العمل في ذلك الجنوب المسحوق اقتصاديا واجتماعيا " في ذلك الصيف وصلت المجموعة الاولى من المهاجرين الذين تركوا ارياف الجنوب واهواره وقدموا الى المدينة حالمين بحياة جديدة بعد ان قطعوا مسافات طويلة في عربات خشبية مفتوحة الجانبين ، لها سقوف من شعر الماعز ، تجرها خيول ارهقتها الدروب الوعرة والمستنقعات الجافة المتشققة ، كانت وجوه الرجال مغبرة ، ملفعة بكوفيات تنحدر منها جدائل مرصعة بالعفص والخضرم والودع ، ولها نهايات تيبست من العرق والغبار ، على ذقونهم نمت لحى كثة علقت فيها انصال التبن واعواد القش ، كانت اجسادهم نحيلة وملابسهم ملوثة بالتراب . وجاء يوم اتضحت لهم منائر بغداد وقبابها من بعيد متوجة بأشعة نحاسية فهتفوا مبتهجين " (٤٧) إذ في هذا المقطع الوصفي نستطيع ان نحدد الواقع الاقتصادي وطبيعة الحياة الشاقة خارج بغداد من انعكاسات كل ذلك على المظهر الخارجي لتلك

الشخصيات المشاركة في هذه الرحلة وطبيعة العربات التي يستقلونها ، فضلا عن الاماكن الوعرة والمجدبة التي مروا بها في رحلتهم تلك ، التي نتلمس فرحهم بانتهائها كما كانوا يأملون في تلك الهتافات التي اطلقوها حالما ادركوا وصولهم الى بغداد ، او المدينة الحلم كما كانوا يرجون ، واختيار العنوان يعد العتبة الاولى لهذا التوثيق التاريخي بوصفه الاشارة الاولى الى المكان الذي سيختارونه هؤلاء الوافدين ليبنوا عليه مدينتهم او مخيماتهم في بادئ الامر " كانت الارض تمتد بين سدتين ترابيتين لحماية بغداد من فيضانات النهر السنوية في اسفل السدة الاولى ، سدة ناظم باشا ، الممتدة من الرستمية جنوبا الى الصليخ شمالا يجري جدول آسن يطلق عليه اسم " شطيط " هناك توقف حصان سيد جارالله فهبط منه . طاف بصره متأملا الارض التي لم تطأها قدم من قبل ، ابتسم قلبه للسماء ودعاهم للصلاة ، فيما انتشر الاطفال بعيدا في البرية الموحشة . حين انتهوا من صلاتهم نهض معتمدا على يديه ، وقال بصوت مجهد شعر به الجميع : – هنا بيتي ، وهنا قبري . ادركوا انه اختار تلك البقعة ليقيموا فيها ، فأخرجوا الفؤوس والمعازق " (٤٨) ومن ثم بيان كل المراحل التطورية العمرانية والحدثية التي سيشهدها هذا المكان ، وما مر عليه من احداث سياسية وحركات فكرية كان لها تاثيرها المباشر على ابناء هذا المكان ، ولم يغفل الروائي الوقوف على الكثير من المظاهر الاجتماعية والعقائدية والتفاصيل اليومية ونمط الحياة المشتركة والاعراف والتقاليد التي بقيت ملازمة لهم ، محاولا المزاوجة بين هذه التفاصيل والواقع السياسي ومتغيراته التي شهدها البلد بصورة عامة وكانت (خلف السدة) جزء منه ، تحملت الكثير من انعكاسات تلك الاحداث والحركات مع استمرار حركة النزوح من الجنوب الى العاصمة ، التي تشير الى استمرار ذلك البؤس الذي مازال مخيما على الجنوب على الرغم من تعاقب الحكام واختلاف السياسات التي انتهجوها ، فتوسعت المدينة وكبرت

احيائها الا ان هناك مشتركات ظرفية جمعت سكانها في معظمها كانت انعكاسات للواقع الاقتصادي والسياسي ولطبيعة الحكم وسياساته التي انتهجها ، التي بدت انعكاساته عليهم اكبر واوضح بفعل الكثافة السكانية لهم التي غالبا تشترك بانها من الطبقات المسحوقة والمهمشة التي تحاول في بعض الاحيان ان تتبنى موقفا او اتجاها تبحث من خلاله عن الخلاص من ذلك الواقع الذي ترزح فيه جيلا بعد آخر لم يتغير بتغير المكان (٤٩) ، ليخلص السارد الى خلاصة تلك الرحلة وما شهدته (خلف السدة) وابنائها من احداث بقوله " ذكريات وتواريخ معلقة على صفحات الجدران او في اعماق الارض ، حياة غابرة في عالم سفلي تنهض للمرة الاخيرة ما تلبث ان تتحول اشلاء او غبار ... فتمضي اخيلة الساكنين ، وتطوف اشباحهم في الشوارع والاسواق تعرض ذكريات الذين اعدموا في ساحات مجهولة ، والذين قتلوا برصاصة في الراس امام مرأى الجميع ، والذين اختطفوا واختفوا في الاقبية وساديب السجون ، ذكريات الاشرار والخيرين ، الابرياء والمختلسين ، الحالمين واليائسين ، البؤساء والشحاذين ، الزناة والشرفاء ، المجرمين والابرياء ، المشعوذات والساحرات ، الآثمات والمكافحات ، القاسيات والرقيقات ..." (٥٠)

اما رواية(سيد اسود باذنجان) التي ذيل عنوانها بتتمة هي (وقائع حياة الاخرس في كتاب الحصار) لخضير فليح الزيدي . فهي تشير منذ العتبة الاولى الى وقائعية هذه الرواية والتسجيل التوثيقي لحياة الاخرس – وهو الشخصية المركزية فيها – زمن الحصار ، اي في تلك السنوات التي فرضت فيها الامم المتحدة الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي بعد غزو العراق للكويت ، في نوع من انواع العقاب الجماعي ازاء سياسة حكامه، وهذا الشعب في حقيقة الامر هو المتضرر الوحيد والاكبر سواء من تلك السياسة التي زجت به في حروب عدة او من ذلك الحصار بأيامه الطويلة التي اتت على الاخضر واليابس

فيه ، فجاءت هذه الرواية التي هي تسجيل وتوثيق لتفاصيل حياة هذا الشعب او الاغلبية منهم في تلك الايام مع اشارات صريحة ومباشرة الى تأثير الجانب السياسي فيها والحروب المتكررة التي ارهقت الجميع وكان لها انعكاس مباشر وكبير سواء على الجانب الاقتصادي ام الجوانب الاجتماعية التي برزت فيه من تدهور للحياة الاقتصادية وتفكك للأسر وضياع الكثير من القيم . اما اختيار عنوان(سيد اسود باذنجان) في جملة تهكمية كانت متداولة عند معظم العراقيين بوصف الباذنجان بالسيد لأنه كان رفيقهم الدائم في تلك السنوات لرخص ثمنه فاصبح الضيف الدائم الحضور في وجباتهم ، وهوما حاول توكيده الروائي في مواضع عدة حينما يأتي على تلك الوجبات التي اطلق عليه سمة الباذنجانية التي تأتي دائما بصيغة التهكم والسخرية السوداء من ذلك هذا المنلوج للأخرس الذي جاء فيه " احب الباذنجان حليف الفقراء .. زوجتي باذنجانة ..قحطان باذنجانة صغيرة متبرعمة مرسومة على الحائط . وعلى بوابة كل مدينة ثمة نصب الى باذنجانة سوداء .. " (٥١) او قوله في موضع اخر " بعد وجبة الفطور الباذنجانية ووجبة الغداء الباذنجانية ، ووجبة العشاء الباذنجانية بتصرف ، يذهب اطفالنا الى كتب القراءة الخلدونية ، ويفاجئون في شبحه المخيف في منتصف القراءة – هذه باذنجانة – ينامون على حدوتة / الطنطل / الذي يشبه الباذنجان ، فكيف لا يحلم الصغار بتلول من الباذنجان فوق قلوبهم اليانعة بحبه ." (٥٢) وليس ببعيد عن هذه التهكمية، فقد عمد اليها الكاتب وهو يسترسل في تفاصيل الحياة اليومية للشعب العراقي لا سيما اولئك الذين يقطنون في الاحياء الفقيرة منها ، مرورا بوصف الانماط الحياتية التي تميل الى التقشف ومحاولة الافادة من ابسط مظاهر الحياة توفيرا لسد الرمق لا اكثر ، ومرورا بالمظهر الخارجي ونمط الملابس التي كانوا يرتدونها (٥٣) فبرزت مهن جديدة واندثرت اخرى وفقا لمتطلبات المرحلة ومقتضياتها ، وتفنن اصحاب العوائل في ايجاد البدائل

التي يحاولون من خلالها سد متطلبات الاسرة " الترف اصبح مكروها .. ترف الافكار نوع من البطر .. ترف الذائقة العامة التي ترتبط بسلوكيات المجتمع قد غدت مجرد افكار من متحف الشمع . فالحصار كفكرة بحاجة الى تعامل يومي واقعي في التخلص من غول العقوبات .. ذلك ما انسحب على الكثير من اصحاب العوائل التي ضاقت بهم السبل .. اثقلت الديون كاهلها مما تطلب اما شطر مساحة البيت او البيع.... الاخرس ذهب لأكثر من مرة الى سوق الهرج لبيع حديد السقف ... اضطر الاخرس ان يفكر في ازالة سقف المطبخ وشباكه وبابه كواحد من افكار الترف والله سبحانه لا يحب المترفين .. سوى بطانيات الموتى التي غدت ابوابا مؤقتة في انتظار رفع العقوبات .." (٥٤) ولعل اخطر تلك المظاهر التي برزت في هذه المرحلة بوصفها نتيجة لها هي ظاهرة البغاء ، اذ دفع الجوع والعوز بعض النساء الى اتخاذها مهنة لتوفير تلك الاساسيات التي تعتاش عوائلهن عليها ، لا سيما تلك النساء التي فقدت المعيل إما بموته في الحروب الطاحنة او بفعل الاعاقة التي خرج بها من تلك الحروب ، فوجدت المرأة نفسها مسؤولة عن تلك العوائل في زمن صعب الامر فيه على الرجال ، لذا برزت هذه الظاهر في تلك المرحلة، وهوما تجنب الكثير من الروائيين الاشارة اليها او الى دوافعها الحقيقية الا بعد زوال السلطة وغياب سلطة الرقيب "كانت تتلو ما تيسر من دعاء الحاجات والاسرار .. المويجات الخجلة للنهر الحزين ترسم حلما اخرسا لمويجات صغرى ثم اصغر . رفعت كفيها حتى بان بياض اليد والعضد .. تهدجت بأسماء الاولياء الصالحين مستنجدة من البلوى التي لا تحكى .. ركعتان ودعاء وصلاة .. ركعتان ودعاء ثم رك _ _ _ _ _ حتى تكتكت الساعة باثنتي عشرة دقة من جرس مبحوح الصوت .. كانت تطلب العفو قبل اقترافها واحدة من الكبائر .. من اجل حفنة الطحين .. اطفالها يتلون من الجوع ولازال موعد حصة التموين بعيدا .." (٥٥). واستنادا الى ما سبق

نخلص الى ان انشغال (خضير الزيدي)وقبله (عبد الله صخي) انشغالهما بتلك التفصيلات ومحاولة الالمام بجزئيات الواقع المستمدة من الواقع الخارجي بعيدا الى حد ما عن تلك الاضافات الفنية التي تستند الى خيال المبدع ورؤيته ، كل ذلك ما دفعنا الى عدهما روايتين واقعيتين تسجيليتين انشغل بهما الروائيان بتلك التفصيلات فجاءت اللغة تقريرية مباشرة بعيدة عن الاشتغال الفني المستند الى خيال المبدع ولغته الفنية . الا اننا في كل الروايات السابقة المباشرة منها وغير المباشرة نلمح تأثيرات الواقع السياسي وانعكاساته الاجتماعية والاقتصادية حاضرة بشكل واضح على ذلك المجتمع مما افرز ظواهر شكلت سماته في تلك المراحل المتعاقبة " وتكاد لا تخلو رواية من وجود صورة السلطة والحاكم بين دفتيها ، والسلطة هنا لا تعني بالضرورة ، ذلك الحاكم الرئيس الذي يمارس السلطة والحكم، وهو الشخص المسؤول عن كل ما يحل بالبلاد ، إنما يمكن تمثل السلطة عبر ممارسات ومواقف اسهمت بتعزيز صورة الحكم القائمة على القهر والاستبداد السلطوي الذي يكرس في مواجه المواطن " (٥٦) لذا تنوعت اشكال السلطة هنا وتعددت انعكاساتها الا انها غالبا شكلت ظواهر قهر واضطهاد دفعت الى سلوكيات وظواهر اجتماعية مستجدة دائما وفقا لتلك المتغيرات الظرفية السياسية منها والاقتصادية ، وهو ما يبرر تحديد بحثنا بالسنوات التي تلت عام ٢٠٠٣ لبروز تلك الظواهر بشكل كبير وواضح فيها ، فضلا عن رجوع بعض الروائيين بطريقة الاسترجاع الى تلك السنوات التي يمكن ان تعد من المسكوت عنه بفعل ما كانت تفرضه السلطة من رقابة على ذلك المنشور ، تخلص منه الروائيين – الى حد ما – بعد الاحتلال .

الهوامش

١. سوسيولوجية الادب . أ . د. قصي الحسين . ص : ٢٤
٢. المصدر نفسه . ص : ٢٥
٣. نقلا عن :تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان . محمد مصطفى هدارة . ص : ٣٠٠
٤. مذاهب الادب ، معالم وانعكاسات . ياسين الايوبي . ص : ٣١٠
٥. في النقد الادبي الحديث ، منطلقات وتطبيقات . د. فائق مصطفى ، و د. عبد الرضا علي . ص : ٧٢-٧٣
٦. مفاهيم نقدية.رينيه ويليك .ص : ١٨٤
٧. نقلا عن مذاهب الادب . ص : ٣٢٨
٨. الحراك الاجتماعي الكويتي في القصة القصيرة . فاطمة يوسف العلي .ص : ٥٤
٩. المصدر نفسه . ص :١٦
١٠. ويكيبيديا النص لسجاد الوزان(بحث انترنيت)
١١. في النقد الادبي الحديث ، منطلقات وتطبيقات . ص : ١٧٩
١٢. النقد الادبي الحديث .د. ابراهيم محمود خليل . ص : ٧١
١٣. مدارات نقدية . فاضل ثامر . ص : ٣١٤
١٤. الحقيقي والمتخيل في الرواية العراقية .د.كرنفال ايوب . ص : ٢٠٢
١٥. نظرية الدراما . سينشينا يانوثا . ص : ١٩٠
١٦. القتلة .ضياء الخالدي . ص : ٧٢
١٧. المصدر نفسه . ص : ٨ و ١٠
١٨. فرانكشتاين في بغداد . احمد السعداوي .ص : ١٧٩
١٩. المصدر نفسه . ص : ١٧١

٢٠. الكافرة . علي بدر . ص : ٣٨

٢١. المصدر نفسه .ص : ٦٤

٢٢. ينظر المصدر نفسه . ص : ٨٦

٢٣. اتجاهات الشعر العربي المعاصر .احسان عباس . ص : ١٥٣

٢٤. الكافرة .ص : ١٢٣

٢٥. المصدر نفسه .ص : ١٢١

٢٦. المصدر نفسه . ص : ١٢٤

٢٧. المصدر نفسه .ص : ١٢٦

٢٨. المصدر نفسه .ص : ١٢٧

٢٩. يا مريم. سنان انطوان

٣٠. طشاري . انعام كججي

٣١. سابرجيون.عامر حمزة

٣٢. مريم في رواية (يا مريم) اختارت النزوح الداخلي بانتظار الخروج النهائي من البلد ، اما وردية واولادها في رواية (طشاري) وابناء حي الآثوريين في (سابرجيون) فكل منهم آثر الخروج بعيدا عن العنف والتقتيل الذي تعرض له ابناء الطائفة المسيحية

٣٣. الكافرة . ص : ١٤٥

٣٤. سيدات زحل . لطفية الدليمي .ص : ١٤

٣٥. المصدر نفسه . ص : ٢٦

٣٦. المصدر نفسه . ص : ١٨-١٩

٣٧. ينظر . المصدر نفسه . ص : ٢٤٩

٣٨. المصدر نفسه . ص : ١٢١

٣٩. المصدر نفسه . ص : ١٨٨

٤٠. دوامة الرحيل .ناصرة السعدون. ص : ١٤

٤١. ينظر دوامة الرحيل . ص: ١٨-٢١ ، ٣٧- ٤٣ ، ٤٤- ٤٦ ، ٥٥-٥٧

٤٢. المصدر نفسه . ص: ١٥٦

٤٣. نساء العتبات . ص: ٨١- ٨٢

٤٤. المصدر نفسه . ص: ٨٠

٤٥. المصدر نفسه ص : ٢٠٤

٤٦. المصدر نفسه ص : ٢٠٥

٤٧. خلف السدة . عبدالله صخي . ص : ٨-٩

٤٨. المصدر نفسه .ص : ١٠

٤٩. ينظر المصدر نفسه . ص: ١٤٦

٥٠. المصدر نفسه . ص : ١٤٦-١٤٧

٥١. سيد اسود باذنجان.خضير فليح اليدي .ص:٦٢

٥٢. المصدر نفسه . ص: ٦٧

٥٣. ينظر المصدر نفسه .ص: ٧٧- ٨٢

٥٤. المصدر نفسه . ص: ٨٨-٨٩

٥٥. المصدر نفسه . ص: ٩٥

٥٦. الرواية العراقية وسردية الاختلاف . د. محمد قاسم لعيبي . ص: ١٣٣

المصادر

- اتجاهات الشعر العربي المعاصر .د. احسان عباس . دار الشروق للنشر والتوزيع . الاردن. عمان . (ط٢) ١٩٩٩
- الحقيقي والمتخيل في الرواية العراقية. مع اهتمام خاص بروايات مهدي عيسى الصقر .د .كرنفال ايوب . دار الفراهيدي للنشر والتوزيع . العراق . ٢٠١٢
- الرواية العراقية وسردية الاختلاف ، قراءة لوعي الذات والعلاقة مع الاخر . د. محمد قاسم لعيبي . دار الفراهيدي للنشر والتوزيع . العراق . بغداد . (ط١) ٢٠١١
- النقد الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك. د. ابراهيم محمود الخليل .دار المسيرة للنشر والتوزيع . عمان (ط١) ٢٠٠٣
- تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان . محمد مصطفى هدارة . دار الثقافة . بيروت . ١٩٧١
- سوسيولوجيا الادب ، دراسة الواقعة الادبية على ضوء علم الاجتماع .أ . د. قصي الحسين .دار البحار بيروت . ٢٠١٠
- في النقد الادبي الحديث ، منطلقات وتطبيقات .د. فائق مصطفى .د. عبد الرضا علي . دار الكتب للطباعة والنشر .جامعة الموصل . (ط١) ١٩٨٩
- مدارات نقدية ، في اشكالية النقد والحداثة والابداع . فاضل ثامر . دار الشؤون الثقافية العامة . العراق . بغداد . (ط١) ١٩٨٧
- مذاهب الادب ، معالم وانعكاسات ، الكلاسيكية ، الرومانطيقية ، الواقعية. د. ياسين الايوبي . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان .(ط٢) ١٩٨٤
- مفاهيم نقدية . رينيه ويليك.ترجمة .محمدعصفور . سلسلة عالم المعرفة . الكويت . ١٩٨٧
- نظرية الدراما . سنيشينا يانوفا .ترجمة.نور الدين فارس . دار الشؤون الثقافية

العامة . العراق . بغداد . (ط١) ٢٠٠٩

الروايات

- القتلة .ضياء الخالدي . التنوير للطباعة والنشر والتويع .بيروت .(ط١) ٢٠١٢
- الكافرة .علي بدر . منشورات المتوسط .ميلانو.ايطاليا .(ط١) ٢٠١٥
- خلف السدة . عبدالله صخي .دار المدى للثقافة والنشر . (ط١) ٢٠٠٨
- دوامة الرحيل . ناصرة السعدون . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . (ط١) ٢٠١٤
- سابرجيون . عامر حمزة . دار الفضاء للنشر والتوزيع . عمان (ط١) ٢٠١٤
- سيد اسودباذنجان ، وقائع حياة الاخرس في كتاب الحصار .خضير فليح الزيدي . دار ومكتبةعدنان للطباعة والنشر والتوزيع . بغداد (ط١)٢٠١٣
- سيدات زحل . لطفية الدليمي . فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة . عمان . الاردن . (ط٢) د.ت
- طشاري .انعام كجةجي . دار الجديد للطباعة والنشر .بيروت . لبنان . (ط٢) ٢٠١٣
- فرانكشتاين في بغداد . احمد السعداوي . منشورات الجمل (ط٨) ٢٠١٣.
- نساء العتبات . هديةحسين . دار الفضاءات للنشر والتوزيع . عمان. (ط١) ٢٠١٠
- يا مريم . سنان انطوان .منشورات الجمل . ٢٠١٢

Representations of Reality and its Problems in the Novel.

Reading in Iraqi Achievement After 2003

Since the first establishment of novel, especially modern ones we found it closest to the reality and the environment, where it issue so for those who wish to study the social structure and problems that afflicting all societies as well as manifestations of civilization and sophistication to those communities through society literature, the novel is the closest type and e most coherent and searching in minutes, and its intellectual, religious and class backgrounds Etc. from other literature genres. So sociological studies was an appropriate area of access to world novelist and explore those social classes to its conflicts within single layer or with others as well as the consequences of behaviors and concepts had some root in consciousness or not awareness of categories of this class, as sociological studies means to adopt "sociological theory based on a study of society as a space for conflict and competition, with analysis of the hierarchy of different social classes, and explaining the role played by cultural practices inside a conflict, that occurs between these social classes consciously or

unconsciously, and clarify how the school return of inequality production of society , and return the same social classes .

And we can point without hesitation or reservation that Iraqi novel related to the different stages or generations and gender of their authors, always associated with the environment and the reality where it issued it feels like always with all novel in front of historical and social document, and indirect study of Iraqi society to difference levels or stages of situational, with each attempt to make his vision and creativity and imagination on them for fear of getting decision and direct or to include those novels within the historical novels which excludes it somewhat from technical and aesthetic creativity and uniqueness which is always the foundation motivation, as

well as the value and conflict in which we find the novel has it.

Based on the above I tend on my research that I submitted to you to find acceptance from you-is the study of social and class conflicts and the consequences from study a number of Iraqi modern novels, particularly those issued after 2003 and the result of this era of the emergence of such conflicts to the surface largely and clear without apprehension or fear of authority that had a big role in the earlier stages in pruning and identify those direct and bold in asking such topics relate

directly or indirectly to the taboos of power, whether political, social or religious.

So I started to study what realistic doctrine and general relationship of literature with novel particularly with this doctrine ,reaching to social approach and what sociology of literature and the relationship of this approach with realty and critics and scholars based to the hypotheses of this curriculum in critique the narrative texts and draw social profiles and class conflicts and social and environmental motivations behind them, and this introduction could constitute the first part of the search, part II, may select to identify the most important problems and social phenomena and drawn motives from fiction texts taken practical models for study and research here, without claim to full coverage of Iraqi production issued at this stage but we take models can stand some stop on some Iraqi novelist stop.

Prof. Assist. Dr. Areej Canaan Hamoudi

College of Arts -University of Baghdad